

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين.

نحن يا أحبّاء انتهياً في هذه الفترة، كما في كلّ عام، للدخول في الصوم الأربعيني المقدّس الذي نجاهد فيه حتّى نصل إلى يوم الفصح المجيد. اليوم هو الأحد الثالث من الفترة التي تسبق الفصح. أحد الدينونة أو كما نسمّيه في لغتنا الشعبية أحد مرفع اللحم حيث يُرفع اللحم عن موائدنا في هذا اليوم.

المقاطع التي سمعناها من الإنجيل المقدّس تدور حول موضوع الصوم. للصوم أوجه كثيرة ونستطيع أن نتحدّث عنه مدّة طويلة. لكننا اليوم، من خلال ما سمعناه من كلمات الربّ، نتذكّر وجهاً هاماً جداً من وجوه الصوم. المسيحية، الإيمان المسيحي ليس مجرد أفكار جميلة، أفكار حلوة، يستلذّ بها العقل فيتعاطى بها ويجادل ويناقش.

المسيحية هي الربّ يسوع الذي أتى إلينا لأتّه أحبّنا وأراد أن يجعلنا معه في قيامته، فأنحدر إلينا وأخذ جسداً من العذراء مريم، وعاش بين الناس وعلمهم، وأعطانا ذاته في النهاية عندما رُفِعَ على عود الصليب، وقام من بين الأموات، وداس الموت، وقيامته هي عربون قيامة كلّ واحد منّا. في هذا الإطار يندرج الصوم. الصوم هو أحد الأسلحة الروحيّة الروحيّة التي يجاهد بها الإنسان كي يكون للربّ. سمعنا في الإنجيل أنّ الربّ في يوم الدينونة، في يوم الدين، سوف يقول لكلّ واحد منّا ماذا فعلت. ماذا فعلت تجاه أخيك؟ كنتُ جائعاً فأطعمتموني، كنتُ عطشاناً فسقيتموني، كنتُ مريضاً فزرتموني، كنتُ سجيناً فأتيتم وزرتموني. على العكس من ذلك أيضاً: كنتُ عطشاناً ولم تسقوني؟ وكنتُ مريضاً ولم تزوروني. وعندما سأله التلاميذ: متى كنتُ عطشاناً وسقيناك ومتى كنتُ عطشاناً ولم نسقياك، قال لهم كلّ ما فعلتموه بأحد إخوتي هؤلاء الصغار فبي قد فعلتموه.

اختارت الكنيسة هذا المقطع الإنجيلي اليوم عن قصد، وذلك قبل الولوج في الصوم لتذكّرنا بأنّ الصوم هو عمل من أعمال الله. تذكّرنا الكنيسة اليوم أنّه علينا نحن كمسيحيين أن نعمل لا للإثم بل للبرّ، للقداسة. أن نعمل لا عمل إبليس بل أن نعمل عمل الله. وعمل الله هو محبة ورأفة وإطالة محبة على الإنسان الآخر الذي هو على صورة الله.

دعونا نتذكر ماذا نفعل في يوم المعمودية. في كنيستنا الأرثوذكسيّة، في يوم المعمودية، وقبل أن يعمّد المتقدّم إلى هذا السرّ، يُسأل من قبل الكاهن: أترفض الشيطان وكلّ أعماله وكلّ أباطيله؟ فيجيب: نعم أرفض الشيطان. لكن دعونا ننتبه قليلاً إلى السؤال أترفض الشيطان وكلّ أعماله أي كلّ أعمال ابليس وكلّ أباطيل ابليس؟ ويجيب بنعم. وعندما يقول نعم إنّهُ يرفض ابليس والظلمة والخطيئة وكلّ أعمالها، آنذاك يعود ويُسأل من قبل الكاهن من جديد: أتوافق المسيح؟ فيجيب: نعم. إذاً، مَنْ يعتمد، مَنْ يقتبل المسيح، مَنْ يلبس المسيح، عليه أولاً أن يرفض ابليس وكلّ أعمال ابليس، وأن يجاهد كي يعمل عمل الله. إنّهُ يلبس المسيح ويجاهد في حياته أن يكون ابناً للنور، ابناً لله، أن يكون فاعلاً وعملاً لله لا أن يكون بعد عبداً لابليس وعملاً ما تمليه عليه الخطيئة وما يملئ عليه ابليس. والصوم يندرج في هذا الجهاد. إنّ الإنسان يسعى من خلال صيامه أن يعمل عمل الله مثل الرأفة، المحبة، المساعدة، الإحسان... إلخ. إنّ أعمال الرأفة المسيحيّة تحتلّ مكانة هامّة في الصوم، والصوم دونها قد يكون كما يقول الإنجيل: الإيمان دون أعمال ميت بذاته. يا أحبّة، تذكّرنا الكنيسة المقدّسة اليوم بهذا الأمر الهامّ جداً. وهكذا يكون إيماننا المسيحي ليس مجرد، كما ذكرت، أفكار جميلة نتكلّم من خلالها عن المسيح العظيم الجبّار، ولكننا نحيا المسيح ونشهد له. يرى الناس أعمالنا الصالحة، يرى الناس محبّتنا، يرى الناس رأفتنا، يرى الناس ابتسامتنا، فيمجّدوا أبانا الذي في السموات.

هذا ما سمعناه، في صلاة السّحر، فالقطعة التي رتلناها قبل البدء بالقدّاس الإلهي تقول: "النسبى أيّها الإخوة وننقّ ذواتنا لملكة الفضائل (أي الصوم الذي نحن قادمون إليه) لأنّها وافت (أي الصوم) جالبة لنا ثروة الصالحات، مخمّدة فمضات الأهواء، ومصالحة إيّانا مع السيّد. فلنستقبلها بسرور هاتفين: أيّها المسيح الإله، يا من قام من بين الأموات، احفظنا أبرياء من الدينونة نحن الممجّدين إيّاك". جديرٌ بالانتباه كيف نقلتنا هذه القطعة إلى البعد العميق للصوم. فهي تذكّرنا أولاً بأنّ الصوم هو بمثابة ميدان للفضيلة، وأننا به نجاهد كي نخمد الأهواء، ونتصالح مع السيّد ونسعى أن نكون لا أعداء أو مخاصمين للسيّد، بل أبناء أحبّاء له ومحبيّن لكلّ إنسان. كما تذكّرنا بأنّ البعد الأخير لكلّ هذا

الجهاد هو أن المسيح قد قام. ولهذا نمتف إليه: يا من قام من بين الأموات احفظنا أبرياء من الدينونة نحن الذين نمجّدك.

صلواتنا إلى الرب يسوع المسيح الذي نتطلّع إليه أن يقوينا بالفعل، أن يكون صيامنا عملاً من أعمال الله، لكي نتقدّس نحن، ونشهد له في العالم فيتجلّى الكون بأسره، ونكون معه جميعاً في ملكوته، هو المبارك وهو الممجّد إلى الأبد. آمين.